أهم كتب التاريخ الإسلامي ومناهجها
وطرق التعامل مع المرويات التاريخية

د. فلاح عبد الحسن هاشم

التاريخ لغة

يقول ابن منظور: التَّأْريخُ: تعريف الوقت، والتَّوْريخُ مثله[١]. فهو الإعلام بالوقت؛ يقال: أرّختُ الكتاب وورّخته، أي: بيّنتُ وقت كتابته.

التاريخ اصطلاحا

عرف العلماء التاريخ أو علم التاريخ بتعاريف قد تختلف في ألفاظها لكنها تكاد تكون متقاربة في مضمونها. يقول السخاوي: التاريخ: "**فنٌّ يُبحث فيه عن وقائعَ من حيثية التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم**"[٢].

ويعرفه الكافيجي: "**علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته**"[٣]. والفرق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ـ كما يقول الكافيجي ـ بالعموم والخصوص، فاللغوي أعم من التاريخ الاصطلاحي عموم الحيوان من الإنسان[٤].

وعرفه صاحب كشف الظنون: "**معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم، إلى غير ذلك**"[٥]. ويعرفه ابن خلدون بنحو أدق: "**هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأُول... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها، وعلم عميق بكيفيات الوقائع وأسبابها**"[٦].

ونرى أن ابن خلدون هنا قد جمع بين تعريف التاريخ وفلسفة علم التاريخ، التي تعني التأمل والتعمق في الأخبار والوقائع التاريخية بعد التثبت من صحتها من أجل الوقوف على أسبابها ومُسَبَّبَاتها، بغرض استنباط السنن الحاكمة في مسيرة تاريخ الأمم والشعوب"[٧]

وأفضل تعريف للتأريخ: أنه "**وصف أدبي لأيّ نشاط إنساني ثابت، سواء قام به الأفراد أو الجماعات، والذي يتجلى في تطور أي جماعة أو فرد، ويؤثر على تطورها**"[٨].

والخلاصة أن التاريخ له معان متفاوتة، فتارة يطلق ويراد به الوقت والزمن، وثانية يراد به واقع الأحداث الماضية، وثالثة يراد به تسجيل وتوثيق تلك الأحداث، والمعنى الأخير هو المقصود هنا.

موضوع التاريخ

وفقا لما مرّ من تعريف للتاريخ فإنّ "**موضوعه (الإنسان والزمان) وتكون مسائله أحوال الإنسان والزمان المفصِّلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة في الإنسان والزمان**"(٩).

وقال في كشف الظنون أن "موضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء"(١٠).

أصناف كتب التاريخ

هناك نزعة تاريخية تميزت بها الحضارة الإسلامية، وساهم في ذلك أن الإسلام تاريخي، فهو يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقة(١١)، ويمكن القول إنه ليس من أمة في الأرض قبل العصور الحديثة قد كتبت في التاريخ وألفت فيه المؤلفات الضخمة والفروعات والتفصيلات الدقيقة من أحداث مثل ما كتب في العهد الإسلامي، وقد تجلت هذه النزعة التاريخية الواضحة في ظهور حوالي خمسة آلاف مؤرخ وما يزيد على ١٠ إلى ١٢ ألف كتاب في أقل التقادير(١٢).

والكتب التاريخية عند المسلمين لم تقتصر على الكتب التي يوضع على عنوانها كلمة "تاريخ" بل شملت كثير من الموضوعات والجوانب المختلفة للنشاط الإنساني.

يقول السخاوي: "**وأما التصانيف في التاريخ فكثيرة جداً، لا تدخل تحت الحصر...**". ثم قال: "**رأيت بخط المؤرخ العمدة أبي عبد الله الذهبي ما نصه: فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد:١- سيرة نبينا ٢.- قصص الأنبياء ٣. ٣- تاريخ الصحابة (رض) ٤- تاريخ الخلفاء من الصحابة وغيرهم. ٥- تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياصرة ومعهم ملوك الإسلام٦.- تاريخ الوزراء منهم أبو بكر وعمر، وطائفة. ٧- تاريخ الأمراء، والأكابر. ٨- تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب٩.- تاريخ القراء. ١٠- تاريخ الحفاظ. ١١- تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم. ١٢- تاريخ المؤرخين.**